مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

دراسات

شعبان ١٤٣٧هـ - مايو ٢٠١٦م

تنظيم داعش والإرهاب العابر للحدود

حسن سالم بن سالم

تنظيم داعش
والإرهاب العابر للحدود

حسن سالم بن سالم

ملخص الدراسة

اعتمد تنظيم داعش منذ ظهوره على إستراتيجية رئيسة تقوم باستهداف (العدو القريب) وفق جهاد التمكين والسيطرة المكانية، وحصر ساحات المواجهة في الدول القريبة. وهي إستراتيجية تمثّل أحد أبرز الفروق بينه وبين تنظيم القاعدة، الذي كان يركّز نشاطه في استهداف (العدو البعيد) من خلال الجهاد والهجمات النكائية. وعلى الرغم من أن تنظيم داعش دعا، في أعقاب تشكيل التحالف الدولي لمحاربته بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر عام ٢٠١٤م، إلى تنفيذ هجمات ضد المصالح الغربية في أنحاء العالم كافةً عبر تحريضه (الذئاب المنفردة) على تنفيذ عمليات فردية وشبه عشوائية ضد تلك المصالح؛ إلا أن إعلان تبنّي التنظيم المسؤولية عن تنفيذ الهجمات الإرهابية التي عصفت بالعاصمة الفرنسية باريس في نوفمبر عام ٢٠١٥م يشير إلى تحوّل جوهري في إستراتيجية التنظيم ونهجه التقليدي، وبدئه بقرار مركزي من قيادة التنظيم مرحلةً جديدةً من استهداف عواصم الدول الغربية وكبريات مدنها، وأن (العدو البعيد) أصبح هدفاً له الأولوية عند قيادة التنظيم. وتتناول هذه الدراسة طبيعة العلاقة بين تنظيم داعش ومشروع الجهاد العالمي بقيادة تنظيم القاعدة، وإيضاح ارتباط التنظيم بعمليات استهداف الدول الغربية في العقد الماضي، ورصد الأسباب الداعية إلى التحوّل في نهج التنظيم وإستراتيجيته بجعل العدو البعيد في أولوياته، وذكر التداعيات الإستراتيجية لعملياته الإرهابية الأخيرة في دول الغرب. وتحاول الدراسة استقراء المرحلة المقبلة، وتَلَمُّس مدى حجم تهديد التنظيم لمستقبل السلام العالمي، وخطورة ذلك.

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن سالم، حسن سالم
تنظيم داعش والإرهاب العابر للحدود. / حسن سالم بن سالم. - الرياض،١٤٣٧هـ
٣٨ص ؛ ١٦,٥×٢٣سم
ردمك: ٣-٩٢-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨
١- تنظيم الدولة في العراق والشام (داعش) ٢- الإرهاب
٣- الحركات الإسلامية أ.العنوان
ديوي ٢١٨,٩ ١٤٣٧/٩٣٦١

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٩٣٦١
ردمك: ٣-٩٢-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

تحرير ومراجعة لغوية
يوسف حجاج

تصميم وإخراج
أزهري النويري

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه الدراسة ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويُعدّ الكاتب وحده مسؤولاً عن أيّ أخطاء ترد فيها.

المحتويات

مقدمة	٩
تنظيم داعش ومشروع الجهاد العالمي	١١
تنظيم داعش واستنفار (الذئاب المنفردة)	١٤
تنظيم داعش وقرار استهداف الغرب	١٦
تداعيات هجمات باريس الدامية	٢٠
تنظيم داعش يضرب في عمق عاصمة الاتحاد الأوروبي	٢٣
تنظيم داعش وتهديد مستقبل السلام العالمي	٢٧
خاتمة	٣٤

مقدمة

على مدار أكثر من عقد من الزمن، ظل تنظيم القاعدة، بفروعه ومجموعاته المرتبطة به والمنتمين إليه، أبرز وأخطر تنظيمٍ إرهابيٍّ يهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب، ومصدرَ إلهامٍ، ومرجعاً لكثير من الحركات السلفية الجهادية في مختلف ساحات الجهاد العالمي العابر للحدود. كما ظل التنظيم طوال تلك الحقبة الزمنية محورَ التركيز الرئيس في الجهود الدولية لمواجهة الإرهاب، فبعد عملية ١١ سبتمبر ٢٠٠١م قرعت الولايات المتحدة الأمريكية طبول الحرب على ما يسمى الإرهاب، وشرعت في حربها الكونية، وعملياتها العسكرية ضد تنظيم القاعدة في أفغانستان، بهدف القضاء على (القاعدة) واستئصالها، وتأمين الولايات المتحدة الأمريكية والعالم من (شرورها)، وشيَّدت الولايات المتحدة الأمريكية بنيةً استخباراتية لمواجهة إرهاب تنظيم القاعدة، كلفتها عدة تريليونات من الدولارات - بحسب أودري كرونيان، الأستاذة في جامعة جورج مايسون - وجرى إنشاء ٢٦٣ منظمة حكومية متخصصة في شؤون الإرهاب، وفي كل عام كانت وكالات الاستخبارات الأمريكية تصدر نحو ٥٠ ألف تقرير عن الإرهاب[١].

غير أن موت زعيم القاعدة أسامة بن لادن، وصعود تنظيم داعش منذ عام ٢٠١٣م، وسيطرته على أراضٍ واسعة في العراق وسوريا، وبروز قوته العسكرية وقدراته الفائقة غير المعهودة في التجنيد والتعبئة والدعاية عبر مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي، وانخراطه في معركة وجودية مع القاعدة، كان أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تراجع وانحسار دور الراعي التقليدي للإرهاب: (تنظيم القاعدة)، وتحجيم إمكانياته؛ سواء على مستوى القاعدة (الأم)، أم الفروع المنتسبة إليه في بعض المناطق، بصورة جعلت من تنظيم داعش اللاعبَ الأكبرَ والأشد خطراً في ساحة الجهاد العالمي. ونجح البغدادي وتنظيمه بعد إعلانهما دولة «الخلافة الإسلامية» في أن يكونا قبلة جهاديِّ العالم بأسره؛ فلم يعد العالم اليوم يواجه تهديد القاعدة وإرهابها فقط، وإنما أصبح يواجه تهديداً

١- حارث حسن، السياسة الأمريكية تجاه تنظيم داعش، دراسة منشورة في العدد ١٦ من مجلة (سياسات عربية) سبتمبر ٢٠١٥م، الصفحات ٢٨- ٤٥، المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، على الرابط:

http//:cutt.us/KdQF.

غير مسبوق للأمن والسلم العالميين، من خلال تنظيم يتمتع بجاذبية أيديولوجيَّة داخل العالم العربي وخارجه تفوقت على جاذبية تنظيم القاعدة والحركات الجهادية الأخرى، ويستخدم أكثر التكتيكات القتالية توحُّشاً، حتى أصبحت أيديولوجيا تنظيم داعش نموذجاً إرشادياً لأكثر الحركات السلفية الجهادية في العالم بسبب طبيعتها الأيديولوجيَّة المتصلبة، وفعاليتها القتالية التي فاقت قوة تأثير تنظيم القاعدة وقدرته.

تنظيم داعش ومشروع الجهاد العالمي

لا يخرج تنظيم داعش عن منظومة فكر الجهاد العالمي (تنظيم القاعدة) الذي يقوم على أصول متفق عليها بينهما، وفروع وجزئيات مختلف عليها؛ فالأصل الذي تُجمِعُ عليه تنظيمات الجهاد العالمي كافة يتلخص في تحكيم (شرع الله)، وإقامة (الحكم الإسلاميِّ) وفق منظورهم المتمثل في إقامة الخلافة/ الدولة الإسلامية، وهو ما لا يتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله. ومعظم الاختلافات الواقعة بينهما لا تتناول التصورات والأصول العامة؛ بقدر ما تتناول المسائل التنظيمية والإجرائية، والوسائل الأجدى في تحقيق المشروع المجمع عليه[٢]. وقد شرح أيمن الظواهري، في رسالة منه وجهها إلى أبي مصعب الزرقاوي في أكتوبر ٢٠٠٥م، مراحلَ مشروع القاعدة، الذي يبدأ بإخراج الأمريكيين من العراق، ثم إقامة إمارة إسلامية يتم تطويرها حتى تبلغ مرتبة الخلافة في العراق، خصوصاً مناطق العرب السُّنَّة، ثم مَدّ الموجة الجهادية إلى ما جاور العراق من دول علمانية؛ لأن مشروع الجهاد العالمي هو إقامة الدولة الإسلامية، والطريق الوحيد لذلك هو الجهاد في بلاد الرافدين، وأن الجهاد ماضٍ إلى قيام الساعة بوجود الإمام وعدمه[٣]. وفي سبيل تحقيق هذه الغاية اعتمد التنظيم، بشكل أساسي، على رؤية وسياسة تتلخصان في نقطتين أساسيتين:

الأولى: شَنُّ حرب شاملة على العدو الصليبي، المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الغربية، وحلفائهم بالمنطقة، في كل بقعة من بقاع الأرض، حيثما وُجِدُوا، أو وُجِدَتْ مصالحهم، بناء على اعتقاد مُنَظِّري القاعدة بأن الحرب على الأنظمة الاستبدادية المحلية، من دون الحرب على الدول الغربية، هي حربٌ من غير طائل، وأشبه ما تكون بقطع ذَنَبِ الأفعى، وترك رأسها.

الثانية: عدم السعي، في المرحلة الراهنة، للسيطرة على بقعة جغرافية بعينها، لإقامة الإمارة أو الخلافة الإسلامية، وهي رؤية تمسَّك بها أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة حتى وفاته؛ ففي رسالة منه بعث بها إلى (تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)،

٢- انظر: تنظيم داعش: البنية الفكرية وتعقيدات الواقع، معتز الخطيب، مركز الجزيرة للدراسات، على الرابط:
http://cutt.us/cld9.

٣- رسالة الشيخ د. أيمن الظواهري إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي في صيف عام ٢٠٠٥م، مركز مكافحة الإرهاب في الأكاديمية العسكرية الأمريكية (وست بوينت)، على الرابط:
http://cutt.us/H98S.

يُرَجَّحُ أن تاريخها يعود إلى مارس ٢٠١١م، أوعز ابن لادن إلى قيادة التنظيم بالتركيز في ضرب المنشآت والمصافي الأمريكية بدلاً من مهاجمة القوات الأمنية المحلية[٤]. وعلى ذلك المنوال كشفت المراسلات التي بعث بها ناصر الوحيشي (زعيم القاعدة في اليمن) إلى أبي مصعب عبدالودود (زعيم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي) - التي أماط اللثام عنها الصحفي روكميني كاليماتشي في مدينة تمبكتو في مالي - الدروسَ التي تعلَّمها من الأخطاء التي سقطت فيها منظمته، وأنه خسر من الرجال والعتاد والمعلومات والمال خلال عام ٢٠١٢م ما يتجاوز بقدر كبير ما كسبه في عام ٢٠١١م؛ وذلك بعد إعلانهم الإمارة الإسلامية، في جنوبي اليمن، وأنه «قد تم توجيه النصيحة إلينا من قِبَلِ القيادة العامة ألاَّ نقوم بالإعلان عن إنشاء أية إمارة أو دولة إسلامية هنا»[٥]؛ إلاَّ أن تنظيم داعش، منذ بداية ظهوره ونشأته على يد زعيمه ومؤسِّسه أبي مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٣م، تجاوز السردية الجهادية القاعدية، إذ كانت شبكة الزرقاوي، على الرغم من مبايعته تنظيم القاعدة منذ عام ٢٠٠٤م، تعمل على تأسيس نمط وإستراتيجية قتالية مختلفة، هي أكثر قوةً وأشد فتكاً وأوسع انتشاراً، تقوم على الدمج والمزاوجة بين الأبعاد الجهادية المحلية والإقليمية والعالمية كافة، وكانت أولوياتها عكس أولويات ابن لادن، وهي السعي لتعزيز قدرة المتمردين المحليين الصُّلبة، وتقديم أولوية القتال والاستهداف للعدو القريب عبر إستراتيجيات جهاد التمكين، والسيطرة الجغرافية، وانتهاج حروب التطهير المكاني فيها، وقتل المرتدين والمخالفين، واعتماد مبدأ تسع رصاصات للمرتدين ورصاصة للصليبيين، للسيطرة على الرقعة الجغرافية عسكرياً وأمنياً، ثم بناء مؤسسات شبه دولة فوقها وفقاً لرؤية التنظيم وأيديولوجيته، والتمدد في المناطق المجاورة عبر مهاجمة الأعداء والمنافسين، مع تبنِّي أكثر الوسائل والتكتيكات توحُّشاً وإرعاباً. وقد شكلت الصراعات الهُويّاتية، ذات البعد الطائفي في المنطقة (سُنَّة - شيعة)، لُبَّ الرؤية الأيديولوجية والسياسية للتنظيم، التي تهدف إلى خلق حالة دائمة من عدم الاستقرار والفوضى التامة.

٤- سكوت ستيوارت، فخ الجهاديين في المرحلة الحالية، مؤسسة ستراتفورد الأمريكية، يونيو ٢٠١٥، على الرابط:
http://cutt.us/fVRej.

٥- المرجع نفسه.

هذا التفلُّت من قِبَلِ فرع القاعدة العراقي من قيود العمل الجهادي التي أرساها كبار فقهاء القاعدة، كمفهوم الجهاد النكاحي، والتحرُّز من الغلو والتوسع في تكفير عموم الشيعة ومختلف الجيوش، والمخالفين، والمبالغة في التوحش، على الرغم من كونها مصدرَ قلقٍ وتذمر وعدم ارتياح من قيادة التنظيم – وفقاً للوثائق والمراسلات التي تم الكشف عنها في منزل ابن لادن بعد مقتله[٦]– إلا أنها لا تشير إلى وقوع اختلاف حول أصل المشروع المـُجْمَعِ عليه، وإنما الاختلاف هو حول الوسائل والسياسات الأجدى في تحقيق ذلك المشروع. وحتى من يتصوَّر أن تنظيم داعش قد انتهج نهجاً جديداً غير معهود في سلوكه، باستهدافه العدو البعيد – عبر تنفيذه سلسلةً من العمليات الإرهابية في المرحلة الفائتة في دول أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وشرقي آسيا – فَتَصَوُّرُه غير دقيق، لسببين:

الأول: أن أبا مصعب الزرقاوي، منذ نشأة التنظيم، عمد إلى إنشاء شبكة جهادية عالمية، وتأسيس خلايا تابعة له في أوروبا، وتم الإعلان في أكثر من بلد أوروبي عن خلايا تابعة لتنظيم الزرقاوي وشبكته. وقد تمكنت الشرطة الألمانية في مارس ٢٠٠٢م من تفكيك خلية التوحيد التابعة للزرقاوي، والتي ضمت جنسيات متعددة. وبحسب تقرير الشرطة الألمانية، فإن الخلية المذكورة سبق لها التباحث مع الزرقاوي حول القيام بتنفيذ عمليات إرهابية في أوروبا[٧]، ولذلك كانت شبكة الزرقاوي مصدرَ قلقٍ لدوائر الاستخبارات الأوروبية، كونها تخطط من موقعها في العراق لشن هجمات داخل أوروبا[٨]، وباتت شخصية الزرقاوي تُشكِّل مصدرَ إلهامٍ عظيم للجهاديين في داخل أوروبا.

الثاني: أن شبكة الزرقاوي كانت ضالعة ولها دور بارز في التخطيط والتنفيذ لعمليتي قطارات مدريد ٢٠٠٤م، ولندن ٢٠٠٥م، فقد كشف تقرير موجود في ملف التحقيق في

٦– محمد أبو رمان، الطريق من (أخوة الدعوة) إلى الصدام والعداء (صراع داعش والقاعدة)، مدونة الكاتب محمد أبو رمان، يونيو ٢٠١٤م، على الرابط:

http://www.judran.net/?p=2579.

٧– حسن أبو هنية، محمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدرش إيبرت، ٢٠١٥م، ص٣٠، على الرابط:

http://cutt.us/caeQA.

٨– انظر: مدير المخابرات الألمانية: تزايد جاذبية الزرقاوي في أوروبا، موقع قناة DW الألمانية، على الرابط:

http://cutt.us/Ze6u.

تفجيرات مارس في مدريد، التي أسفرت عن مقتل ١٩١ شخصاً، وقرابة ١٧٥٥ جريحاً، عن وجود روابط بين شبكة الزرقاوي، والمنفذين والمخططين لها[٩]. أما تفجيرات لندن ٢٠٠٥م، التي أودت بحياة أكثر من ٥٠ شخصاً وجرح ٧٠٠ آخرين، فقد أفاد محققون في لندن أنهم يدرسون احتمال أن تكون اعتداءات لندن قد تمت باستخدام متفجرات عراقية وفّرها أبو مصعب الزرقاوي[١٠].

تنظيم داعش واستنفار (الذئاب المنفردة)

اعتمد تنظيم داعش، من أجل تحقيق الاستدامة والبقاء والتمدد، على إستراتيجية مزدوجة المسار:

الأول: التوسع والتمدد الجغرافي في الأراضي التي تحيط مباشرة بالمناطق التي يسيطر عليها في سوريا والعراق من خلال قدراته العسكرية.

الثاني: تحقيق التوسع والتمدد العالمي من خلال نظام الولايات في مواقع تحظى أصلاً بوجود الحركات الجهادية وأتباع وأنصار لها، والعمل على تلقّي وقبول مبايعة الحركات الجهادية الأخرى، وحفز المجموعات التابعة للقاعدة إلى الانشقاق، وتشجيع المجموعات الجهادية المستقلة في مختلف الأماكن في العالم على الانضمام إليها. وحتى نوفمبر ٢٠١٥م كان تنظيم داعش قد أعلن عن تأسيس ٣٨ ولاية في داخل المناطق التي تحت نفوذه وخارجها، وأكثر من مئة بيعة من مختلف المناطق؛ إلا أن التنظيم، منذ إعلان ظهوره في ٢٠١٣م، إلى قبيل بدء غارات التحالف الدولي في سبتمبر ٢٠١٤م، ظل موضع جدل غير محسوم في دوائر الاستخبارات الدولية والمراكز البحثية، وما إذا كان يشكل تهديداً للأمن الوطني الأمريكي في الداخل، وكذلك في بلاد الغرب. ففي شهادته أمام الكونجرس الأمريكي، في نوفمبر ٢٠١٤م، قال نيكولاس راسموسين، مدير مركز مكافحة الإرهاب الوطني: إن تهديد داعش خارج حدود الشرق الأوسط هو تهديد حقيقي، إلا أنه ما

٩- انظر: صحيفة الشرق الأوسط، لندن، ٨ سبتمبر ٢٠٠٥م، على الرابط:
http://archive.aawsat.com/details.asp?article=322171&issueno=9781#.VuQV__krI1K.

١٠- انظر: صحيفة الشرق الأوسط، لندن، ١١ يوليو ٢٠٠٥م، على الرابط:
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=1&issueno=9722&article=311193#.V2ervNIrJdg

زال محدوداً في تعقيده، ولكن إذا تم تَرْكُ هذا التهديد بشكله الحالي فإنه سينضج مع الوقت، وسيطور من إمكانياته لنقل التهديد إلى الأراضي الأمريكية[١١]. في الوقت الذي أكد فيه دانيال بنجامين، المنسق السابق لشؤون مكافحة الإرهاب في وزارة الخارجية الأمريكية، «أن تنظيم الدولة الإسلامية المعروف بـ (داعش) لا يُشكِّل خطراً على أمريكا أو الغرب، وأن ما جرى إعلانه عن نية التنظيم شَنَّ هجماتٍ خارج مناطق نفوذه هو محدود للغاية»[١٢].

وجد تنظيم داعش، نتيجةً للحملة التي تَعَرَّضَ لها من التحالف الدولي منذ سبتمبر ٢٠١٤م، والتي إلى سقوط أكثر من ١٥ ألف مقاتل من مقاتليه[١٣]، أن الحل للتخفيف من عبء الغارات الجوية، يكمن في إعلان (النفير العام)، ودعوة المناصرين له، أينما كانوا، إلى شَنِّ هجمات فردية من خلال ما يُعرف باسم (الذئاب المنفردة) ضد مصالح الدول الغربية، ومواطنيها، والدول الأعضاء في التحالف الدولي؛ وذلك عبر كلمة صوتية لأبي محمد العدناني المتحدث الإعلامي للتنظيم قال فيها: «أيها الموحد.. لا تَفُتْكَ هذه المعركة أينما كنت... فإذا قدرت على قتل كافر أمريكي أو أوروبي، وأخص منهم الفرنسيين الحاقدين الأنجاس، أو أسترالي أو كندي، أو غيره من الكفار المحاربين، من رعايا الدول التي تحالفت على الدولة الإسلامية، فتوكّل على الله، واقتله بأي وسيلة أو طريقة كانت، ولا تشاور أحداً، ولا تستفت أحداً، سواء أكان الكافر مدنياً أو عسكرياً، فَهُم في الحكم سواء، كلاهما كافر، كلاهما محارب،كلاهما مباح الدم والمال، فإن الدماء لا تُعْصَمُ أو تُباح بالملابس، فلا الزي المدني يعصم الدم، ولا البزة العسكرية تبيحه، وإنما يُعصم الدم ويُباح بالإسلام والإيمان»[١٤]. هذه الإستراتيجية الفردية، غير المركزية، وشبه العشوائية،

١١- حارث حسن، السياسة الأمريكية تجاه تنظيم داعش، دراسة منشورة في العدد ١٦ من مجلة (سياسات عربية)، سبتمبر ٢٠١٥م، الصفحات ٢٨- ٤٥، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، على الرابط:
http://www.dohainstitute.org/file/Get/5e1bec1e-278c-48b1961-c-3b21d228a27f.pdf.

١٢- انظر: موقع قناة سي إن إن الأمريكية، على الرابط:
http://cutt.us/fcHXR.

١٣- التنافس الجهادي الدولة الإسلامية تتحدى تنظيم القاعدة، تشارلز ليستر، مركز بروكنجز، الدوحة، فبراير ٢٠١٦، على الرابط:
http://cutt.us/83Ipt.

١٤- أبو محمد العدناني، إنّ ربّك لبالمرصاد، مؤسسة البتار الإعلامية، على الرابط:
http://al-adneni.blogspot.com/201412//blog-post_25.html.

التي دعا إليها العدناني، أحرزت نجاحاً ملحوظاً للتنظيم في عدد من المواقع والدول، تركَّز أغلبها في منطقة الشرق الأوسط، مثل: السعودية، والكويت، وتونس، ومصر، إلى جانب عمليات إطلاق نار وطعن في دول غربية، مثل: كندا، وأستراليا، وفرنسا. فمن بين ثلاثين مؤامرة وهجوماً إرهابياً نُفِّذُوا في الغرب بين يوليو ٢٠١٤ ويوليو ٢٠١٥م، ارتبط ٨٠٪ منها بتنظيم داعش[١٥]. وكانت تلك العمليات، على الرغم من محدودية مقوماتها وتأثيرها، مؤشراً واضحاً على عِظَم تهديد التنظيم لمصالح الدول الغربية.

تنظيم داعش وقرار استهداف الغرب

ضَعْفُ الاستجابة الفردية من أتباع تنظيم داعش ومؤيديه في تنفيذ عمليات نوعية ذات حجم وتأثير كبيرين ضد المصالح الغربية في مختلف دول العالم، وبلوغ الحرب الكونية ضد التنظيم حدودها القصوى بعد التدخل الروسي، واستيعاب الضربات والغارات الجوية بمستوياتها كافةً، وتباطؤ إستراتيجية التوسع والتمدد الجغرافي، كل ذلك جعل القيادة المركزية للتنظيم تتخذ قراراً إستراتيجياً يؤذن بدخول التنظيم في طور ترسيخ مرحلة جديدة، بديلاً وعوَضاً عن التراخي الحادث في شعاره المادي (باقية وتتمدد) إلى التمدد المعنوي عبر الحضور في المشهد العالمي، واستهداف الحلقة الخارجية البعيدة، ودحض دعاية بداية النهاية للتنظيم من خلال شَنِّ عمليات وهجمات إرهابية نوعية ذات تأثير ماديٍّ ومعنويٍّ، وبتخطيط مركزي لها، وفقاً لعدد من المؤشرات الدالة على ذلك[١٦]. وجاءت العمليات بالتزامن مع تصعيد مجلة (دابق)، الناطقة باسم التنظيم، وتُنشَر بالإنجليزية وبلغات أخرى، في الإصدار رقم (١١)، أغسطس ٢٠١٥م، والإصدار رقم(١٢)، نوفمبر ٢٠١٥م، الذي حمل عنوان (الإرهاب العادل)، من دعوتها إلى مهاجمة الغرب. وخلال شهر واحد نَفَّذَ تنظيم داعش سلسلةً من العمليات الإرهابية بشكل تزامني، وبمدى مكاني اتسع بشكل مُطَّرد وصولاً إلى قلب أوروبا؛ إذ قام التنظيم

١٥- التنافس الجهادي: داعش تتحدى تنظيم القاعدة، تشارلز ليستر، مركز بروكنجز، الدوحة، فبراير ٢٠١٦ م، على الرابط: http://cutt.us/83Ipt.

١٦- انظر: واشنطن تحمّل أبا محمد العدناني مسؤولية اعتداءات باريس وبيروت، صحيفة الحياة، ٢٤ نوفمبر٢٠١٥م، على الرابط: http://cutt.us/WZGXf.

بعملية إسقاط الطائرة الروسية فوق منطقة سيناء المصرية[١٧]، وتنفيذ عملية برج البراجنة في الضاحية الجنوبية في بيروت، وصولاً إلى هجمات باريس[١٨] غير المسبوقة، وقد بلغ عدد الضحايا من جراء تلك العمليات ما لا يقل عن ٥٠٠ قتيل، وأُصيب خلالها المئات من الناس.

تاريخياً، أثبتت أشباه تلك الهجمات ضد العدو البعيد، المتمثل في الغرب والولايات المتحدة الأمريكية ومصالحها، فشلاً ذريعاً كما في حالة تنظيم القاعدة؛ إذ خسر التنظيم بعد هجمات سبتمبر ٢٠٠١م قواعده في أفغانستان، وقُتل أو اعتُقل أكثر قادته، ومنهم زعيمه أسامة بن لادن، كما فقد حليفه الرئيس (حكومة طالبان) الدولة التي كاد يسيطر عليها. بَيْدَ أن بعض قادة التنظيم والشخصيات القريبة من تياره الفكري يعتقدون أن الهجمات على نيويورك وواشنطن جاءت بالعدو البعيد (القوات الأمريكية) إلى مسافة أقرب (أفغانستان والعراق)، وقد مَكَّنهم ذلك من إلحاق أضرار كبيرة بعدوهم، وأن هجماتهم المضادة له في العراق وأفغانستان أفسدت المخططات الغربية هناك بعد التدخل (بناء ديمقراطيات حليفة للغرب). وهذه المعتقدات لا تأخذ في الحسبان أي تكاليف أو خسائر تكبَّدها التنظيم وحلفاؤه، أو تكبدها أهالي البلاد المشار إليها[١٩]؛ إلا أن الأمر يبدو مختلفاً في حالة تنظيم داعش، الذي يتمتع بمستوى عالٍ من التخطيط والتطور والإمكانات والقدرات؛ فقرارُ تنفيذ عملياته الإرهابية الكبيرة ضد المصالح الغربية يخضع لحسابات واضحة له، من حيث التوقيت والخسائر والآثار المترتبة عليها، وليس كما فعل تنظيم القاعدة في عمليات ١١ سبتمبر.

يقف وراء هذه العمليات الإرهابية من تنظيم داعش عددٌ من الدوافع والمكتسبات للتنظيم، من أهمها وأبرزها:

أولاً: تخفيف الضغط الكبير عليه؛ نتيجة غارات التحالف الدولي، وخسارته بعض المواقع في الأراضي العراقية؛ كسنجار، وبيجي، ومطار كوريس في سوريا، وبداية فقدانه جزئياً

١٧- انظر: تنظيم الدولة يجدّد تبني إسقاط الطائرة الروسية، موقع قناة االجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/sJVpy.

١٨- انظر: تنظيم الدولة الإسلامية يتبنى اعتداءات باريس، موقع قناة فرانس ٢٤، على الرابط:
http://cutt.us/yxaLn.

١٩- عمر عاشور، تنظيم الدولة.. هل غير إستراتيجيته تجاه الغرب؟ موقع الجزيرة نت، على الرابط:
http://cutt.us/WPVR0.

ميزة التمكين والسيطرة الجغرافية، التي بنى عليه دولته، وهو ما جعل التنظيم يلجأ إلى إستراتيجية اندماج الأبعاد الجهادية. ووفقاً لحسابات التنظيم، فإنه لا خسائر إستراتيجية تُذكر في وضع إستراتيجية اندماج الأبعاد الجهادية قيد التشغيل[٢٠].

ثانياً: السعي للرد الانتقامي والهجوم المضاد؛ رداً على هجمات التحالف الدولى بهجمات إرهابية غير تقليدية في مداها الزمني والمكاني، ومحاولة تحقيق الردع عبر نقل الحرب إلى أراضي أعدائه، وإظهار مدى قوته، والمحافظة على صورته وتكتيكاته المرعبة التي تضمن له تجنيد واستقطاب متطوعين جدد ضمن آلته الدعائية من داخل المجتمعات الغربية[٢١].

ثالثاً: إثارة ردود أفعال مبالغ فيها من جانب الحكومات الأوروبية، وتأجيج مشاعر الأحزاب اليمينية المتطرفة ضد المسلمين في أوروبا، واستدعاء منطق الاجتثاث لهم من الرقعة الأوروبية، وهو ما يؤدي إلى إقصاء المجتمعات المسلمة، ودفعها إلى اتخاذ مواقف متطرفة في مختلف أنحاء القارة الأوروبية. وقد أوضح تنظيم داعش بعد هجمات يناير على صحيفة (شارلي إيبدو) أن هذه الهجمات «تجبر الصليبيين على تدمير المنطقة الرمادية بأنفسهم... وسرعان ما سيجد المسلمون في الغرب أنفسهم بين واحد من خيارين: إما الارتداد، أو أن يهاجروا إلى داعش، وبذلك يفرون من الاضطهاد على أيدي الحكومات والمواطنين الصليبيين». ووفقاً لحسابات التنظيم، فإن عدداً صغيراً من المهاجمين يمكنهم تغيير الطريقة التي ينظر بها المجتمع الأوروبي إلى المسلمين المقيمين فيه وعددهم ٤٤ مليوناً، ومن ثم، تغيير الطريقة التي ينظر بها المسلمون الأوروبيون أيضاً إلى أنفسهم. ولم يعد تنظيم داعش مضطراً لاختراع حكايات عن الكراهية الغربية للمسلمين المقيمين بينهم، فردودُ أفعال الأحزاب اليمينية في أوروبا المناهضة للمسلمين، خصوصاً تجاه اللاجئين، تأتي وفق ما أراده تنظيم داعش كما ظهر ذلك جلياً لدى المحتجين الذين

٢٠- حسن ابو هنية، هل تغيرت إستراتيجية تنظيم داعش، موقع عربي ٢١، على الرابط:
http://cutt.us/jO6U.

٢١- إيريك شميدت، وديفيد كيركباتريك، نيويورك تايمز، نوفمبر ٢٠١٥م، على الرابط:
http://cutt.us/y0YiB.

حملوا لافتة في مدينة (ليل) بشمالي فرنسا مكتوباً عليها «اطردوا المسلمين»[٢٢].

رابعاً: استقطاب الغرب إلى حرب انتقامية غير قائمة على إستراتيجية شاملة؛ إذ أصبح من الواضح لقادة هذا التنظيم الإرهابي أنه يمكن بسهولة دفع أطراف من التحالف الكوني إلى ارتكاب أخطاء إستراتيجية بغية الانسياق خلف مشاعر الانتقام، سواء على المستوى العسكري أم السياسي، مستفيداً مما حدث من تدخُّل أمريكي في أفغانستان بعد أحداث سبتمبر، والعراق بعد حرب عام ٢٠٠٣م؛ إذ قادت الأعمال الإرهابية لتنظيم القاعدة إلى ردود الفعل العسكرية من الغرب؛ فتجربةُ العراق هي المحرك الرئيس وراء سياسات إدارة باراك أوباما الذي يسعى لتجنب تكرار السيناريو نفسه في بلدان الشرق الأوسط مرة أخرى. لقد فَهِمَ قادة تنظيم داعش ذلك، وراهنوا على أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها سيحاولون تجنُّب التورط في الصراع السوري، إلا أن ينجرُّوا إلى التورط على عجل عندما يتم دفعهم إلى القيام بذلك. وقد نجح تنظيم داعش في استثمار الغضب الشعبي والخوف في أوروبا لمصلحته؛ فالدول برمتها تتعرض لضغوط لتُظْهِرَ لشعوبها أنها تفعل شيئاً حياله، إما الانتقام لهذه الشعوب، وإما الدفاع عنها؛ فأصبحت الدول تحول انتباهها إلى الأمن الداخلي، بينما تشعر أيضاً بالضغط للتصرف خارجياً. وهذه الازدواجية تُترجم إلى هذا النوع من العمل العسكري الخارجي، الذي هو - في أحسن الأحوال - رمزي، وفي أسوأ الأحوال غير مبنيٍّ على إستراتيجية واضحة[٢٣]. هذه الأهداف والدوافع لا يمكن الجزم بأحدها إطلاقاً؛ فقد يكون الهدف أو الباعث هو أحدها، أو بعضها، أو جميعها، لكن ما يمكن الجزمُ به هو أن تنظيم داعش قد بدأ ورسَّخ مرحلة وإستراتيجية جديدتين.

٢٢- التقرير الثامن، مرصد إسلاموفوبيا، منظمة التعاون الاسلامي، على الرابط:

http://cutt.us/JQQ9z.

- هارلين جامبير، أوروبا وفخ داعش، صحيفة الاتحاد الإماراتية بترتيب خاصّ مع خدمة واشنطن بوست، ١٧ نوفمبر ٢٠١٥م، على الرابط:

http://www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=87123.

٢٣- انظر: لينا الخطيب، العمل العسكري وحده لن يهزم داعش، صحيفة الحياة، لندن، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٥م، على الرابط:
http://cutt.us/b3ZG.

تداعيات هجمات باريس الدامية

في أعقاب العملية الإرهابية التي شهدتها باريس فى الثالث عشر من نوفمبر ٢٠١٥م باشر معظم الدول الأوروبية اعتماد إجراءات أمنية مشددة، ورُفعت حالة التأهب إلى أقصى درجاتها؛ لدرء أي خطر إرهابي محتمل عنها، في وقت تصاعدت فيه تحذيرات دوائر الأمن والاستخبارات الغربية من خطورة تخطيط تنظيم داعش لتنفيذ هجمات واسعة في الغرب على غرار هجمات باريس؛ إذ حذرت وكالة الشرطة في الاتحاد الأوروبي (اليوروبول)، في تقرير لها صدر في ٢٥يناير ٢٠١٦م، من استعداد تنظيم داعش لتنفيذ هجمات قاسية ومنسقة تستهدف الدول الأوروبية، على غرار سلسلة هجمات باريس في ١٣ نوفمبر، وأن على أوروبا توقُّع مزيد من الهجمات المماثلة لتلك التي شهدتها فرنسا، وارتفاع احتمال تخطيط التنظيم لها في الوقت الحالي[٢٤]. وقال روب وينرايت، رئيس وكالة الشرطة الأوروبية (يوروبول): «إن تنظيم (الدولة الإسلامية) قد صقل قدراته على شن هجمات خارجية، وإنه يستعد لتركيز جهوده في القارة الأوروبية»[٢٥]. كما أعلن فنسنت ستيوارت، مدير وكالة المخابرات العسكرية، في جلسة استماع للجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ في ٨ فبراير ٢٠١٦م أن تنظيم داعش يستهدف شَنَّ مزيد من الهجمات في أوروبا في ٢٠١٦م، ويطمح لشَنِّ هجمات داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وأنه سيزيد - على الأرجح - من وتيرة هجماته العابرة للحدود وقدرته الفتاكة في الأشهر المقبلة[٢٦]. وفي جلسة الاستماع نفسها قال مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية جيمس كلابر: «إن تنظيم داعش لديه القدرة على تدبير وتوجيه هجمات ضد مجموعة واسعة من الأهداف في مختلف أنحاء العالم»[٢٧]. وحذَّر مارك راولي، المفوض المساعد لشرطة لندن وهو أكبر مسؤول بريطاني في مجال مكافحة

٢٤- انظر: الشرطة الأوروبية تحذر دول القارة: داعش يخطط لعمليات مثل هجمات باريس، موقع قناة سي إن إن العربية، على الرابط:

http://arabic.cnn.com/world/201626/01//isis-attacks-europe.

٢٥- انظر: روب وينرايت، داعش تخطط لهجمات جديدة في أوروبا على وجه التحديد، موقع قناة بي بي سي، على الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016160125/01/_isis_europol_warning.

٢٦- انظر: مدير المخابرات العسكرية الأمريكية يتوقع زيادة هجمات داعش، وكالة رويترز، على الرابط:
http://ara.reuters.com/article/worldNews/idARAKCN0VI03Y.

٢٧- انظر: كلابر، داعش يتبع تكتيكات متطورة، قناة سكاي نيوز، على الرابط:

http://cutt.us/u23G.

الإرهاب، في ٧ آذار/ مارس ٢٠١٦م، من أن مقاتلي تنظيم داعش، يريدون شَنَّ هجمات (هائلة ومروعة) ضد بريطانيا وضد نمط الحياة الغربي بشكل عام، والانتقال من التركيز الضيق في الشرطة والجيش ورموز الدولة... إلى شيء أوسع نطاقاً بكثير[٢٨]. وفي المقابل، فإن تنظيم داعش سارع إلى استغلال حالة التأهب الأمني بنشر مجموعة من الإصدارات المرئية المصنوعة بمهارة، وبصور عالية الجودة، وتقنيات دعائية متطورة، بلغات متعددة، يهدد فيها الغربَ بشَنِّ مزيد من الهجمات، ومن أهم تلك الإصدارات:

١- الإصدار المرئي (باريس قبل روما)، الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية دجلة في ١٩ نوفمبر ٢٠١٥م، الذي توعد فيه جهاديان لم يُكْشَفْ عن هُويتهما بشَنِّ هجمات جديدة، وهدَّدا بِدَكِّ صروح فرنسا (الصليبية)، وقالا: «لقد بدأنا بك وسننتهي في البيت الأبيض الذي ستحوله نيراننا إلى سواد»[٢٩].

٢- الإصدار المرئي (كما تَقتلون تُقتلون)، الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية الجزيرة في ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥م، وقد توعد فيه جهاديان أحدهما شيشاني، حكومتي روسيا وفرنسا بشَنِّ مزيد من الهجمات، والتهديد بأن ما حدث في باريس سوف يحدث في عقر داركم[٣٠].

٣- الإصدار المرئي (هاهو الثأر أتاكم) باللغة الفرنسية وتُرجم إلى العربية، الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية دمشق، في ٢٢ نوفمبر ٢٠١٥م، وتوعد فرنسا بشَنِّ هجمات انتحارية جديدة[٣١].

٤- الإصدار المرئي (ولا تُنظرون)، الصادر عن مركز الحياة للإعلام التابع لتنظيم داعش، في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٥م، وتُرجم إلى ثماني لغات، منها: الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، وتوعد فيه تنظيم داعش، الولايات

٢٨- انظر: الشرطة البريطانية: داعش تسعى لشن هجمات مروعة، وكالة رويترز، على الرابط:
http://cutt.us/5rXo1.

٢٩- إصدارات داعش، المكتب الاعلامي لولاية دجلة، الإصدار المرئي (باريس قبل روما)، على الرابط:
http://cutt.us/W43U.

٣٠- إصدارات داعش، المكتب الإعلامي لولاية الجزيرة، الإصدار المرئي (كما تَقتلون تُقتلون)، على الرابط:
http://cutt.us/CbeRc.

٣١- إصدارات داعش، المكتب الإعلامي لولاية دمشق، الإصدار المرئي (هاهو الثأر أتاكم)، على الرابط:
http://cutt.us/AqK7.

المتحدة الأمريكية، وأعلن تجديده الإعلان عن تحدي دول التحالف الدولي جميعها[٣٢].

٥- الإصدار المرئي (من برقة إلى باريس)، الصادر عن المكتب الإعلامي بولاية برقة الليبية، في ٢ديسمبر ٢٠١٥م، توعد بتكرار هجمات باريس في واشنطن وموسكو[٣٣].

٦- الإصدار المرئي (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)، الصادر عن مركز الحياة للإعلام التابع لتنظيم داعش، في ٢٤ يناير ٢٠١٦م، وتضمن الإصدار، الذي ورد باللغتين العربية والفرنسية، الكشف عن هُويَّة المنفذين التسعة لعملية باريس، وصوراً لتدريبات تلقوها في مناطق يسيطر عليها داعش، وتهديداً لبريطانيا بهجوم إرهابي، وأظهر الإصدار أمكنة رئيسة في بريطانيا في إشارة منه إلى إمكانية استهدافها[٣٤].

٧- الإصدار المرئي (تصفية المرتدين)، الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية نينوى (شمال العراق)، في ٣١ يناير ٢٠١٦م، وبلغت مدته ثماني دقائق، ظهر فيه أحد الإرهابيين متحدثاً بالفرنسية، ويتوعد الغرب بهجمات دامية (تنسيهم) هجمات نيويورك وباريس[٣٥].

٨- الإصدار المرئي (هم العدو فاحذرهم ٣)، الصادر عن المكتب الإعلامي لولاية الرقة في ٢ يناير ٢٠١٦م، وتوّعد بشن هجمات في أوروبا مع التركيز في هذا الإصدار في بريطانيا بعد توسيع نشاطها في صفوف التحالف الدولي بقيادة واشنطن[٣٦].

٣٢- مركز الحياة للإعلام، الإصدار المرئي (ولا تنظرون)، على الرابط:
http://cutt.us/8ghj.

٣٣- إصدارات دولة الخلافة، الإصدار المرئي (من برقة إلى باريس)، على الرابط:
http://cutt.us/C4ma.

٣٤- إصدارات الدولة الإسلامية، مركز الحياة للإعلام، الإصدار المرئي (واقتلوهم حيث ثقفتموهم)، على الرابط:
http://cutt.us/MRdc.

٣٥- إصدارات الدولة الإسلامية، المكتب الإعلامي لولاية نينوى، الإصدار المرئي (تصفية المرتدين)، على الرابط:
http://cutt.us/9y6PY.

٣٦- إصدارات الدولة الإسلامية، المكتب الإعلامي لولاية الرقة، الإصدار المرئي (هم العدو فاحذرهم ٣)، على الرابط:
http://cutt.us/fh4az.

ومن الواضح أن التنظيم يهدف، من خلال هذه الإصدارات القصيرة المختلفة والمتنوعة في الجهات المصدرة لها، وبلغات متعددة يفهمها الشارع الغربي، إلى بث الذعر والرعب وزرع الخوف في نفوس الغربيين من هجمات دموية جديدة على غرار عملية باريس، وتجنيد مزيد من الأتباع والأنصار من داخل أوروبا عبر تلك الإصدارات الدعائية التي يقوم بنشر كثير منها على شبكات التواصل الاجتماعي، ورفع حالة الاستقطاب، وتوهين وزعزعة العلاقة بين السكان المسلمين وغير المسلمين لحشد مزيد من الأتباع.

تنظيم داعش يضرب في عمق عاصمة الاتحاد الأوروبي

تمكن تنظيم داعش من جديد، من اختراق الأمن الأوروبي، والتوغل في عمق الديار الأوروبية؛ فكانت العاصمة البلجيكية بروكسل على موعد مع عملية إرهابية جديدة وقعت في مطار بروكسل ومحطة مالبيك، وأسفرت عن سقوط ٣٤ قتيلاً، وأكثر من مئة جريح[٣٧]. وقد أعادت هذه العملية إلى الواجهة من جديد الحيَّ الشعبيَّ في العاصمة البلجيكية، المعروف باسم مولينبيك، الذي يقطنه قرابة ٩٥ ألف نسمة، نسبة كبيرة منهم من المهاجرين ذوي الأصول المغاربية والتونسية. وقد اكتسب هذا الحي، الذي يعاني مشكلات اقتصادية وارتفاعاً كبيراً في نسبة البطالة تصل إلى نحو ٢٥٪، وترتفع إلى مستويات قياسية بين الشباب، سمعةً سيئةً نتيجة ارتباط اسمه بعدد من العمليات الإرهابية منذ تسعينيات القرن الماضي، حينما قامت السلطات الأمنية البلجيكية بتفكيك خلية إرهابية تابعة للجماعة الإسلامية المسلحة التي كانت تتمركز في الجزائر، واعتبارها أول خلية إرهابية يتم إلقاء القبض عليها في القارة الأوروبية[٣٨]. ومن هذا الحي جاء التونسي عبدالستار دحمان، وهو واحد من اثنين نَفَّذا عملية اغتيال القائد الأفغاني أحمد شاه مسعود بتفجير كاميرا ملغومة في مقره في ٩ سبتمبر ٢٠٠١م. وكان حسن الحسكي، وهو مهاجر مغربي أقام مدة طويلة في حي مولينبيك، أحد المدبرين لهجمات

٣٧- انظر: عشرات الضحايا في تفجيرات بروكسل، موقع قناة الجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/EQl2.

٣٨- انظر: ورقة عثرت عليها بلجيكا قبل ٢٠ عاماً.. وفهمت معناها اليوم، موقع قناة العربية، على الرابط:
http://cutt.us/kAAJ.

مدريد ٢٠٠٤م التي ذهب ضحيتها قرابة مئتي قتيل[٣٩]، وكذلك كانت البلجيكية موريل ديجوك أول امرأة أوروبية تنفذ عملية انتحارية في نوفمبر ٢٠٠٥م بمدينة بعقوبة العراقية[٤٠]، وصولًا إلى أن أربعة من منفذي ومخططي الهجمات التي ضربت العاصمة الفرنسية لهم ارتباطٌ وثيقٌ بالحي المضطرب (مولينبيك)، وهم: الشقيقان صلاح وإبراهيم عبدالسلام، وبلال الهادفي (انتحاري ملعب فرنسا) و(العقل المدبر لعمليات باريس) عبدالحميد أبا عود[٤١]. ويتحدَّرُ أغلبية الجهاديين البلجيكيين الذين التحقوا بمناطق القتال في العراق وسوريا، وعددهم ٥٠٠ جهادي، من هذا الحي. ووفقاً لإحصاءات أممية فإن ١٢٨ مقاتلاً بلجيكياً في صفوف (داعش)، من أصل ٥٠٠ بلجيكي، عادوا إلى بلادهم بنهاية عام ٢٠١٥م، بينما قُتل ٧٧ آخرون، ولا تزال البقية في سوريا والعراق، كما أن بلجيكا تعتقد أن واحداً من كل تسعة مقاتلين لديه النية للقيام بعمليات إرهابية داخل أوروبا[٤٢].

هناك فرضيات متعددة ومحتملة عن الأسباب التي تقف وراء قيام تنظيم داعش بتنفيذ العملية في هذا التوقيت في قلب العاصمة البلجيكية، ومن أهم تلك الأسباب وأبرزها:

١- إرسال رسالة سياسية وانتقامية واضحة من التنظيم إلى جميع الدول المنخرطة في التحالف الدولي الذي يحارب التنظيم في سوريا والعراق بأن التنظيم يستهدف دول التحالف الدولي أجمع، والدول الأوروبية كافة، بحسب الإمكانيات المتاحة للتنظيم، بغض النظر عن حجم المشاركة في التحالف أو طبيعتها، وأن شبكاته في أوروبا قادرة على تنفيذ اعتداءات دامية مهما كان

٣٩- انظر: مولينبيك.. حي بلجيكي في عين العاصفة، موقع قناة الجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/Tpd39.

وانظر كذلك: حي مولينبيك ببروكسل: (قندهار) أوروبي، موقع إذاعة مونت كارلو، على الرابط:
http://cutt.us/j3Rwi.

٤٠- حورية أحمد، (انتحاريات) القاعدة من التأييد إلى التفجير، مجلة المجلة، على الرابط:
http://cutt.us/z0y2o.

٤١- انظر: القصة الحقيقية لمنفذي هجمات بروكسل وباريس، موقع صحيفة هافينجتون بوست عربي، على الرابط:
http://www.huffpostarabi.com/201624/03//story_n_9537902.html.

٤٢- انظر: لماذا تعد بروكسل مركزاً لاهتمام الجهاديين، موقع عربي ٢١، على الرابط:
http://cutt.us/APp1.

مستوى التأهب الأمني. وقد أعلن التنظيم في بيانه بعد عملية باريس أن جميع دول التحالف على رأس قائمة أهدافه[٤٣]، وأنه جاهزٌ تماماً لتنفيذ عملياته في الدول الأوروبية.

٢- تُعَدُّ بلجيكا منطقةً (رخوةً) في الكيان الأوروبي الغربي، وتعاني ضعفاً في المؤسسات الأمنية، وقد أدى تردِّي الأوضاع الاقتصادية في بلجيكا؛ نتيجة لعدم الاستقرار الحكومي، إلى اتباع سياسات تقشفية حادة تضمنت خفضاً للإنفاق الحكومي، وهو ما انعكس على قدرات المؤسسات الأمنية على مواجهة الإرهاب؛ إذ رصدت تقارير أوروبية أن جهاز أمن داعش البلجيكي في بروكسل العاصمة يتكون من ٦٠٠ فرد فقط، إضافة إلى زهاء ألف مجند ينتمون إلى جهاز الاستخبارات، وهو عدد غير كافٍ لتأمين المدينة. يضاف إلى ذلك هناك ستة أقسام شرطة فقط تتكفل بتغطية (١٩) مقاطعة، مع (١٩) رئيس بلدية مختلفين[٤٤]، ما ساعد التنظيم على استغلال تلك الثغرات الأمنية، وتنفيذ العملية الإرهابية.

٣- أسهم اعتقال السلطات البلجيكية صلاح عبدالسلام- أحد أهم المخططين والمدبرين لعملية باريس- في تعجيل تنفيذ هذه العملية الإرهابية؛ فعمليةٌ بهذا الحجم والتنفيذ من الصعب التخطيط لها في وقت قصير، وإنما تحتاج إلى تدريب وتخطيط طويل المدى، والإعلان عن اعتقال صلاح عبدالسلام، وما قد يترتب عليه من إفشاء كثير من المعلومات عن الشبكة، قد يكون من الأسباب التي عَجَّلت بالتنفيذ حتى لا يتم اكتشافها وإحباطها من السلطات البلجيكية.

٤٣- انظر: (غزوة باريس).. تنظيم الدولة الإسلامية يتبنى هجمات فرنسا، موقع "الإسلاميون"، على الرابط:
http://cutt.us/ZY7yK.

وانظر كذلك: منفذو هجمات باريس بإصدار جديد لتنظيم داعش، موقع قناة الجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/dR6D.

٤٤- محمد يونس: لماذا تعرضت (بروكسل) لهجمات إرهابية؟ المركز الاقليمي للدراسات، على الرابط:
http://cutt.us/3uS60.

وكذلك انظر: لماذا تعد بروكسل مركزاً لاهتمام الجهاديين؟، موقع عربي ٢١، على الرابط:
http://cutt.us/APp1.

قد يكون الجانب الأبرز والأخطر في هجمات بروكسل الأخيرة هو أنها جاءت في وقت كانت فيه نسبة التأهب الأمني في أعلى درجاتها، وكان من المتوقع أن تشهد إحدى العواصم الأوروبية، خصوصاً باريس وبروكسل، وقوع اعتداءات إرهابية فيها، وهو ما يؤكد أن تنظيم داعش مصمم على نقل المعركة إلى خارج حدوده - مع ازدياد الضغط عليه في معاقله داخل الرقة والموصل - من خلال شبكة عالمية ربما لا تكون مرتبطة بعضها ببعض، لكنها تؤدي الهدف بالشكل المطلوب، مع الاعتماد على جيل جديد من قلب أوروبا يحمل الملامح والطبائع الغربية، ويكون ممن خضع لمنظومة سياسية وثقافية تعليمية فائقة الحداثة؛ فهؤلاء ليسوا ممن تنطبق عليهم مقاربات الفقر والجهل؛ لأن جهاديِّي أوروبا الجدد يتجاوز كثيرون منهم المقاربات التفسيرية الأحادية المُـخْتَزِلَة لظاهرة الإرهاب في الفقر والجهل ونقص التعليم، لكنهم مفعمون بالشعور بالظلم من واقعهم، والمعاناة من حالة التهميش السياسي والثقافي والاقتصادي، والتمييز السلبي الذي تُمارسه وسائل الإعلام ضدهم، سواء من خلال الصورة النمطية في الصحف والمجلات، أم الصورة السلبية التي تبثّها البرامج السياسية، أم الممارسات الفعلية للمؤسسات السياسية والأمنية، التي ينجم عنها جميعها نزعةُ الثأر، وتتولد من خلالها مشاعر الانتقام، فيجد هؤلاء مبتغاهم في تنظيم داعش الذي ابتكر أروع صور الانتقام وأشدها عنفاً. ووفق تعبير الباحث حسن أبو هنية: «إن جهاديي أوروبا هم الأكثر عنفاً والأشد فتكاً، نظراً لتجربتهم العملية ومعاناتهم المزدوجة، وتركيبتهم الهجين، ذلك أنهم يتوافرون على طبيعة حداثية وثقافية دينية ملتبسة، ويتوافرون على مشاعر عميقة بالامتهان والتهميش؛ الأمر الذي دفعهم للتخلي عن نمط حياة أوروبية تبدو ظاهرياً مثالية ورغدة وتنعم بالحرية والديمقراطية، والهجرة والانخراط في مشروع يَعِدُهم بتأسيس خلافة إسلامية تتحقق فيها الكرامة رغم مشقة الحياة وصعوبة العيش»[٤٥].

٤٥- حسن أبو هنية، هجمات بروكسل وجهاديو أوروبا، موقع عربي ٢١، على الرابط:
http://cutt.us/ovfh.

تنظيم داعش وتهديد مستقبل السلام العالمي

حرب التحالف الدولي على تنظيم داعش مستمرة. وعلى الرغم من مُضِيِّ أكثر من عام وتسعة أشهر عليها، وخسارة التنظيم جغرافياً وفق تصريحات الكولونيل ستيف وارين المتحدث باسم التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، بأن تنظيم الدولة «خسر ٤٠٪ من الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرته في العراق، كما خسر أيضاً ٢٠٪ من الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرته في سوريا»[٤٦]؛ إلا أن تقارير أخرى صدرت من مراكز أبحاث متخصصة في التحليل الاستخباري العسكري، كمعهد آي إتش إس جينز، أفادت بأن التنظيم خسر قرابة ١٤٪ من الأراضي التي سيطر عليها في المدة من بداية ٢٠١٥ إلى ١٤ ديسمبر ٢٠١٥م. وذكر المعهد، الذي يوجد مقره في الولايات المتحدة الأمريكية، أن الأراضي لدى التنظيم تقلصت بمقدار ١٢,٨٠٠ كيلومتر مربع لتصل إلى ٧٨ ألف كيلومتر مربع[٤٧]، كما أشار المعهد، في دراسة لاحقة، إلى أن تنظيم داعش خسر بين الأول من يناير ٢٠١٥م و ١٤ مارس ٢٠١٦م ٢٢٪ من الأراضي التي يسيطر عليها في سوريا والعراق[٤٨]، ولكن التنظيم لا يزال واقفاً على قدميه، وخَطَرُ إرهابه فيما وراء سوريا والعراق، وقدرتُه على تكوين تنظيمات إرهابية، وتشكيل خلايا عابرة للحدود على المستوى الإقليمي في قلب أوروبا، كما حدث في باريس وبروكسل، في تصاعد، وليس في تراجع، على الرغم من تزايد خسائر التنظيم على أرض المعركة، وتراجع موارده المالية. فالعالم يواجه اليوم – أكثر من أي وقت مضى – تهديداً أكثر حدة وتعقيداً، وأسرع نمواً، والهجمات الإرهابية التي شنها التنظيم في باريس وبروكسل تشير إلى أنه يمتلك القدرة على ضرب مزيد من الأهداف في أوروبا. وقد قال مسؤول فرنسي في مكافحة الإرهاب طلب عدم نشر اسمه: «إن عام ٢٠١٥م كان صعباً، وأخشى أن يكون عام ٢٠١٦م فظيعاً»[٤٩]؛ لذلك فمن المرجح أن

٤٦- انظر: ستيف وارين المتحدث باسم التحالف الدولي، موقع قناة بي بي سي، على الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016160105/01/_iraq_haditha_killed.

٤٧- انظر: تنظيم داعش خسر ١٤٪ من الأراضي خلال ٢٠١٥م، قناة الجزيرة الفضائية، على الرابط:
http://cutt.us/72h4.

٤٨- انظر: تنظيم داعش خسر ٢٢٪ من الأراضي التي كان يسيطر عليها منذ بداية ٢٠١٥م، موقع قناة فرانس ٢٤، على الرابط:
http://cutt.us/8KoSb.

٤٩- انظر: هجمات بروكسل أظهرت أن أوروبا أكثر عرضة للأخطار من أي وقت مضى، صحيفة الحياة الدولية، ٢٠١٦/٣/٢٢م، على الرابط:

http://www.alhayat.com/m/story/14618483.

يختبر عام ٢٠١٦م نموذج تنظيم داعش التوسعي؛ إذ يواجه التنظيم تحديات عسكرية وسياسية واقتصادية قاسية في معاقله في سوريا والعراق، لكن فروعه الدولية البالغة (١٨) فرعاً أو ولاية قد تُقدِّم له ضماناً ثميناً؛ إذ من الممكن أن تعمل درع حماية يتم توظيفها في إطار إستراتيجية تقوم على العمل كجسد واحد على الرغم من تناثره في جغرافية سياسية واسعة؛ لذلك أصدر ديوان البحوث والدراسات في التنظيم فتوى نُشرت في مجلة (دابق) تتضمن توجيهاً لأتباعه بعدم القدوم إلى مركز خلافته، والالتحاق بأقرب ولاية، وفي حال عدم وجود ولاية عليهم التموضع المكاني بانتظار اكتمال الشبكات والخلايا والمجاميع وصولاً إلى التوحد والجهاد الفردي[٥٠].

هناك عوامل متعددة تشير إلى تسارع وتيرة استهداف تنظيم داعش الدول الغربية، من أهمها وأبرزها:

أولاً: تنظيم داعش ما يزال يملك مخزوناً بشرياً من المقاتلين الأجانب المنضمين إلى القتال معه، وقد بلغ آخر تعداد لهم- وفق ما ذكره جيمس كلابر، مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكية- في ١٢ فبراير ٢٠١٦م، ٣٨,٢٠٠ مقاتل أجنبي في سوريا والعراق، وبلغ عدد المقاتلين الغربيين قرابة ٦,٩٠٠ مقاتل[٥١]. وقد أكدت التحقيقات في العمليات الإرهابية التي جرت في باريس في نوفمبر ٢٠١٥م أن المخطّطين والمشاركين في تنفيذ العملية هم من العائدين من ساحات القتال، كما نشر التنظيم فيديوهات وصوراً لهُويّات منفذي العملية في أثناء وجودهم في سوريا[٥٢]، وهو ما يؤكد أنهم تلقوا قدراً كبيراً من التدريب على تنفيذ عمليات إرهابية في أثناء وجودهم في سوريا والعراق؛ فعبدالحميد أبا عود مُنسِّق عملية

٥٠- انظر: حسن أبو هنية، هل تغيرت إستراتيجية تنظيم داعش، موقع عربي ٢١، على الرابط:
http://cutt.us/PXDPE.

٥١- انظر: الاستخبارات الأمريكية: ٣٨ ألف مقاتل أجنبي توجهوا إلى سوريا منذ ٢٠١٢م، موقع روسيا اليوم، على الرابط:
http://cutt.us/l9C6.

٥٢- انظر: داعش ينشر فيديو لمنفذي هجمات باريس، التنظيم يكشف عن هوية ٩ أشخاص شاركوا في اعتداءات العاصمة الفرنسية، موقع قناة العربية، على الرابط:
http://cutt.us/Mdlf.

وانظركذلك: تنظيم الدولة ينشر هويات منفذي هجمات باريس، موقع قناة الجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/W9aYX.

هجوم باريس، واسمه الحركي: أبو عمر البلجيكي، انضم إلى تنظيم داعش في أوائل عام ٢٠١٣م، وكان له دور بارز ومبكر في بدء التخطيط لهجمات داخل أوروبا، ويُعتقد أنه المسؤول عن الخلية الإرهابية التي تم تفكيكها في بلجيكا في يناير ٢٠١٥م، التي كانت تنوي القيام بأعمال إرهابية في الأراضي البلجيكية، ضد رجال شرطة، ومراكز شرطة، وأمن داخلي[٥٣]. وليس عبدالحميد أباعود النموذج الوحيد لأولئك الذين أقاموا ضمن حدود تنظيم داعش، وقاموا بتعزيز عمليات إرهابية في مواطنهم الأصلية؛ فجميعُ المهاجمين في باريس ذهبوا إلى سوريا مرة واحدة على الأقل، وبعضهم، مثل: (أبا عود)، ذهب إلى هناك أكثر من مرة. ووفقاً لتقدير الشرطة الأوروبية في مطلع عام ٢٠١٦م، فإن عدد المقاتلين، الذين عادوا إلى أوروبا بعد حصولهم على التدريبات العسكرية في داعش، يراوح بين ثلاثة آلاف وخمسة آلاف عنصر، بينما تُقَدِّرُ الشرطة البريطانية عدد البريطانيين العائدين من مناطق القتال في سوريا والعراق بنحو ٣٥٠ شخصاً من أصل أكثر من ٧٠٠ بريطاني التحقوا بمناطق القتال والتنظيمات المتشددة فيها[٥٤]، وهو ما يشير إلى تصاعد قدرات التنظيم في تشكيل خلايا إرهابية عابرة للحدود على المستوى الإقليمي والدولي، إضافة إلى خطر الخلايا المشكَّلة بالداخل، التي لم يتم الكشف عنها، في عدد ليس بالقليل من دول العالم. وقد أشار الباحث في المؤسسة النرويجية لأبحاث الدفاع - مؤلف كتاب (الجهاد في السعودية)- توماس هيغهامر، إلى أن «سوريا سوف تطيل مشكلة الإرهاب الجهادي في أوروبا مدة ٢٠ عاما[٥٥]. ومع تزايد الجهود الدولية المبذولة في وقف تدفق المقاتلين الأجانب، إلا أن ذلك قد يدفع أولئك الإرهابيين (الرجال والنساء) إلى القيام بممارسات إرهابية في الداخل.

ثانياً: دعوة التنظيم أتباعه في أوروبا وأمريكا إلى شن مزيد من العمليات والهجمات، وفقاً للكلمة الصوتية الأخيرة للناطق باسم التنظيم أبي محمد العدناني في ٢١ مايو

٥٣- انظر: عبد الحميد أباعود.. "العقل المدبر" لهجمات باريس، قناة الجزيرة، على الرابط:
http://cutt.us/q62WT.

٥٤- انظر: (يوروبول) تحذر من ٥ آلاف مقاتل مدرب في أوروبا، موقع قناة سكاي نيوز عربية، على الرابط:
http://cutt.us/EPwH.

٥٥- انظر : المقاتلون الأجانب العائدون. تجريمهم أم إعادة دمجهم؟، تشارلز ليستر، معهد بروكنجز، على الرابط:
http://cutt.us/FORoF.

٢٠١٦ م، التي حملت عنوان (ويحيى من حَيَّ عن بينة)[٥٦]؛ إذ دعا العدناني في كلمته مناصري التنظيم في أوروبا إلى استهداف أي شيء في الدول الغربية، ولو كان «حجراً يلقيه على الصليبيين في عقر دارهم». وحثهم العدناني على قتل المدنيين بلا استثناء بقوله: «نخص جنود الخلافة في أوروبا وأمريكا، هناك من يتحرج باستهداف المدنيين، ويُعرض عنهم لِشَكِّهِ بالجواز والمشروعية، فاعلموا أن في عقر دار الصليبيين لا عصمة للدماء، ولا وجود لما يسمى بالأبرياء». بل جعل استهداف المدنيين «أحب إلينا وأنجع، كونه أنكى بهم وأوجع وأردع». ودعا أتباعه إلى تحويل شهر رمضان إلى «شهر وبال على الكافرين». وقد تضمنت الكلمة الإلماح إلى احتمال هزيمة التنظيم وخسارته مزيداً من المدن، وانحسار تمدده في سوريا أو العراق، في ظل هجوم واسع من قوات سوريا الديمقراطية، المدعومة بغطاء جوي أمريكي، على الجزء الشمالي لمدينة الرقة، وهو ما قد يدفع التنظيم إلى تغيير استراتيجيته بالتخلي عن المعارك الدفاعية الباهظة الثمن في المدن التي يسيطر عليها، وتكثيف عملياته الخارجية ضد الغرب والولايات المتحدة الأمريكية.وقد حاول أنصار التنظيم في موقع تويتر، فور صدور كلمة العدناني المرتقبة، جَعْلها تحتل الهاشتاج الأول عالمياً، إلا انها احتلت المركز السابع عالمياً، على الرغم من الحذف المستمر من إدارة الموقع لحسابات متعددة مرتبطة بالتنظيم[٥٧].

ثالثاً: نمو التنظيم وتوسُّعه في الأراضي الليبية، منتهزاً فرصة التدهور الأمني والانقسام السياسي في المنطقة لإيجاد حاضنة جديدة لتنفيذ عملياته الإرهابية، وتوسيع مصادر تمويله؛ إذ راوح عدد عناصر مقاتلي تنظيم داعش – وَفْقاً لما صرح به المبعوث الأممي إلى ليبيا مارتن كوبلر– بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ مقاتل في مدينة سرت وسط البلاد، إضافة إلى وجود ٢٠٠٠ آخرين موزعين على مدن ليبية أخرى[٥٨]؛ فيما يُقَدِّرُ مسؤولون أمريكيون عدد عناصر تنظيم داعش في ليبيا بأنه يراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف عنصر[٥٩].

٥٦- انظر : تفريغ كلمة الشيخ أبي محمد العدناني، مؤسسة الفرقان، على الرابط:
http://cutt.us/IvDR.

٥٧- انظر : العدناني في كلمة مسجّلة: (لا يوجد أبرياء في مناطق الصليبيين) موقع أورينت، على الرابط:
http://cutt.us/ciWz.

٥٨- انظر: ليبيا.. كوبلر يقدر أعداد داعش في سرت بـ ٣٠٠٠ مقاتل، موقع قناة العربية، على الرابط:
http://cutt.us/I6En.

٥٩- انظر: مسؤولون أمريكيون: عناصر داعش بليبيا بين ٤ آلاف إلى ٦ آلاف مقاتل، موقع شبكة CNN، على الرابط:
http://cutt.us/pWr6.

بعد سيطرة تنظيم داعش على مدينة سرت، التي تضم مطاراً وقاعدة عسكرية منذ يونيو ٢٠١٥م، إضافةً إلى مدن أخرى، وإعلانه – مؤخراً – تعيين عبدالقادر النجدي أميراً مفوضاً لإدارة الولايات الليبية خلفاً لأبي المغيرة القحطاني[٦٠]، بدا واضحاً أن اهتمامه منصبٌّ على المدن الواقعة ضمن ما يُعرف بـ(منطقة الهلال النفطي)، وهو ما يجعله على بعد ثلاثمئة كيلومتر فقط من الشواطئ الأوروبية، وهو ما يُوفِّر له قاعدة مثالية لتنسيق مزيد من الهجمات داخل العمق الأوروبي. وقد أكد روبرت فورد، السفير الأمريكي السابق في سوريا، في شهادته أمام لجنة الخدمات المسلحة في يناير ٢٠١٦م أن تنظيم داعش لديه القدرة على تنفيذ هجمات على غرار هجمات باريس من خلال قاعدته الجديدة في ليبيا[٦١]. ومما يزيد من تفاقم التهديد تحذيرُ مجلس الأمن الدولي من خطورة العلاقة المتنامية بين حركة بوكو حرام النيجيرية وتنظيم «داعش»، ومبادرة بوكو حرام إلى إرسال مقاتلين من صفوفها لمعاضدة جهود تنظيم داعش في مدينة سرت الليبية، وفك الحصار الذي فرضه عليه الجيش الليبي[٦٢]، وقد سبق لحركة بوكو حرام النيجيرية أن أعلنت مبايعتها لأبي بكر البغدادي العام الماضي، وتسمَّت (ولاية غرب إفريقيا). هذا التحالف الجاري الآن بين الطرفين من شأنه تعميق مخاوف دول المنطقة من إمكانية تشكيل حزام إرهابي يربط بين منطقتي شمال إفريقيا وغربها بشكل أقوى، كما أُثيرت هواجس الدول الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، من خطورة التهديدات التي سيشكلها هذا الاتحاد على مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية في المنطقة. ومن المرجح أن يمنح الاتحاد بين التنظيمين فرصة ذهبية لبوكو حرام كي تتمدد إلى منطقة شمال إفريقيا، ومنها إلى أوروبا، وهو ما أكدته دراسة صدرت في شهر أبريل الماضي عن مرصد التطرف والنزاعات الدينية في إفريقيا التابع لمعهد تمبكتو الإفريقي لدراسات السلام[٦٣].

٦٠- انظر: حوار مع عبدالقادر النجدي، صحيفة النبأ التابعة لتنظيم داعش، ٨ فبراير ٢٠١٦، على الرابط:
http://alwasat.ly/ar/news/libya/98867/.

61- Former US official: ISIS has the capability to organize Paris-like attacks out of its new base in Libya
http://cutt.us/RIUr3

٦٢- انظر: مجلس الأمن قلق بسبب العلاقة بين بوكو حرام وتنظيم (الدولة الإسلامية)، موقع بي بي سي العربية، على الرابط:
http://cutt.us/5Nbf.

٦٣- انظر : داعش وبوكو حرام يستغلان الفوضى الليبية لسنّ تحالف جهادي يهدّد المنطقة، موقع شبكة CNN، على الرابط:
http://cutt.us/ZjEKc.

رابعاً: سعي تنظيم داعش لإيجاد موطئ قدم له في دول المغرب العربي؛ وهو ما يسهل عبوره باتجاه أوروبا، فعبر إستراتيجية إزالة وكسر الحدود كانت مدينة بنقردان التونسية – أهم خزان بشري لتنظيم داعش على الحدود مع ليبيا – مسرحاً لهجوم مسلح واسع منظم ومنسق قام به مقاتلون من التنظيم بهدف إقامة ولاية جديدة، وخَلَّفت العملية الفاشلة ٥٤ قتيلاً، ٣٦ منهم من عناصر التنظيم، و١١ شخصاً من صفوف قوات الأمن، وسبعة مدنيين[٦٤]. وقد أظهرت هذه العملية مدى هشاشة الوضع الحدودي بين تونس وليبيا وخطورته، وأن جميع الإجراءات التي اتخذها الجانب التونسي، ولاسيما إقامة ساتر ترابي بطول حدوده مع ليبيا، لم تكن مجدية، ومن المحتمل جداً أن يكون الهجوم على بنقردان اختباراً لقدرتها على الدفاع، تعقبه محاولة الاستيلاء عليها، خصوصاً أن التنظيم اعتمد في هجومه إستراتيجية حرب العصابات ونشر عناصره بدلاً من شَنِّ الهجمات والعمليات الانتحارية، أما إعلان السلطات المغربية في ١٣ مايو ٢٠١٦م، اعتقال عنصر تشادي من داعش في مدينة طنجة بأقصى شمال المغرب – وهي مدينة لا يفصلها عن القارة العجوز بحراً سوى ١٤ كيلومتراً – كان يخطط لتنفيذ هجمات إرهابية بالبلاد[٦٥]، وما سبقه بأيام من توعّد تنظيم داعش في تسجيل صوتي باستهداف السياح الغربيين في المنتجعات السياحية، ومقار الأمن المغربي، والشركات الأجنبية، فليس إلا مؤشراً على تركيز متنامٍ للتنظيم في المغرب، والعبور منها إلى أوروبا.

خامساً: ينبئ التنافس المحموم بين قطبي الجهاد العالمي (القاعدة وتنظيم داعش) بمزيد من العنف والهجمات الإرهابية؛ فمع أن أفرع تنظيم القاعدة بدأت تنتهج إستراتيجية أكثر تكيُّفاً مع الشأن المحلي بغرض كسب ما يُعرف بـ(الحاضنة الشعبية)إلا أنها تضع استهداف المصالح الغربية نصب عينيها، ولا يزال على رأس أولوياتها. وقد كشف أيمن الظواهري، بشكل حاسم، في توجيهاته العامة للعمل

٦٤- انظر: السبسي: هجوم بنقردان كان يستهدف إقامة ولاية جديدة (لتنظيم الدولة)، موقع قناة بي بي سي، على الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2016160307/03/_tunisia_ben_guerdane_clash.

٦٥- انظر : المغرب يحبط مخططاً لداعش لاستهداف مقرات دبلوماسية، صحيفة الشرق الأوسط، على الرابط:
http://cutt.us/tvHfE.

الجهادي «أن على جميع الإخوة المجاهدين أن يعتبروا ضربَ مصالح التحالف الغربي الصليبي الصهيوني في أي مكان في العالم من أهم واجباتهم، وأن يسعوا في ذلك قدر ما يستطيعون»[٦٦]. وقد برز التنافس بين التنظيمين، في القارة الإفريقية التي تحولت إلى ساحة صراع نفوذ حاد بين التنظيمين، فعلى الرغم من الحضور المتزايد لتنظيم داعش فيها إلا أن تنظيم القاعدة لا يزال يحظى بولاء كثير من التنظيمات المسلحة المهمة في إفريقيا. وقد جاءت عملية فندق (راديسون) في العاصمة المالية باماكو[٦٧]، وعملية بوركينا فاسو[٦٨]، اللتان نفّذهما تنظيم القاعدة بعد أيام قليلة من عملية باريس المدوية بغرض تأكيد حضور التنظيم، واستعادة نشاطه العملياتي الجهادي في منطقة شمال إفريقيا وغربها، التي كانت ساحة نفوذ تقليدي لفروعه الموجودة فيها. وقد توعد أميرُ منطقة الصحراء في تنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي، في تسجيل صوتي له، الفرنسيين بهجمات أخرى[٦٩].

سيؤدي احتدام التنافس إلى تسارع وتيرة العمليات الإرهابية ضد السياح الأجانب، وقد تكون ساحته الأولى منطقة الساحل والقرن الإفريقي، وقد تمتد شرارته لتطول ليبيا وتونس ودولاً أخرى في إفريقيا والشرق الأوسط، وهو ما قد يلقي بظلاله على زيادة حدة التنافس في تنفيذ عمليات إرهابية بين التنظيمين في بقاع شتى من أوروبا، ووسط آسيا وجنوبها، إضافة إلى أن روسيا قد تكون من المواقع التي تستهدفها ولاية القوقاز في المرحلة المقبلة. هناك شيءٌ واحدٌ مؤكدٌ، هو أن تنظيم داعش سوف يواصل السعي نحو التطور، ولن يتردد قادته في تعزيز الإرهاب العالمي.

٦٦- أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، ١٤٣٤هـ، على الرابط:
https://archive.org/details/tawjeh_ayman.

٦٧- انظر: مالي.. تحرير جميع الرهائن في فندق (راديسون) والعثور على ١٨ جثة، موقع قناة فرانس ٢٤، على الرابط:
http://cutt.us/FyBY.

٦٨- انظر: أجانب بين ضحايا هجوم مسلحين إسلاميين على فندق في بوركينا فاسو، موقع قناة بي بي سي، على الرابط:
http://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016/01/160115_burkina_faso_gunfire.

٦٩- انظر: قاعدة المغرب تتوعد الفرنسيين بهجمات، تسجيل صوتي، قناة الجزيرة الفضائية، على الرابط:
http://cutt.us/bMcW.

خاتمة

الجهادية العالمية، في ظل الظروف الإقليمية التي تمر بها المنطقة في سوريا والعراق، ومع صعود تنظيم داعش، هي اليوم أشد خطراً وأوسع انتشاراً مما كانت عليه منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. وتقود الولايات المتحدة الأمريكية اليوم تحالفاً دولياً جديداً للقضاء على تنظيم داعش في العراق وسوريا؛ لكن إستراتيجية الحرب على الإرهاب لا تزال تستند إلى المعالجة العسكرية الأمنية، وتكتفي بالحديث عن الأسباب المؤسِّسة، والشروط المنتجة للإرهاب، من دون معالجة جذرية للأسباب والشروط والظروف الموضوعية العميقة التي أدت إلى ازدهار الظاهرة العنيفة ونموها وانتشارها، وهو ما أدى إلى انبعاث حركات جهادية لم تعد تقنع بالانتقام والنكاية، وباتت تنشد السيطرة والتمكين واستهداف العدو القريب والبعيد، وأصبحت المنافسة حادة داخل الجهادية العالمية؛ فالقوة العسكرية وحدها ليست كافية للقضاء على الإرهاب؛ فمنذ أحداث نيويورك وواشنطن والعالم ينادي بأن الحل لمواجهة الإرهاب والقضاء عليه لا يقتصر على الجانب العسكري، على الرغم من أنه اليوم أولويةٌ لتفكيك (دولة الخلافة في العراق والشام)، لَكِنَّ شيئاً من هذا لم يحدث؛ فلا غزو أفغانستان اقتلع تنظيم القاعدة من ذلك البلد، وحال دون تصديره إلى دول العالم، ولا القضاء على أبي مصعب الزرقاوي حال دون إعلان (دولة الخلافة) الأشد عنفاً وقسوة في تاريخ الحركات الجهادية.

لذلك، تبقى نقطة الضعف الجوهرية في إستراتيجية الحرب الحالية على الجهادية العالمية هي المتعلقة بالأزمة السُّنِّية في العراق، وبقاء نظام الأسد؛ ففي ظل إقصاء المكون السُّنِّي وتهميشه، وبقاء الأسد الذي يعزز نفوذ داعش، يظل من الصعب تخيُّل إمكانية نجاح الإستراتيجية الأمريكية في مواجهة التنظيم، لأن القوة العسكرية الأمريكية ربما تكون قادرة على تغييب ورثة الزرقاوي عن الساحة، لكن من دون اللجوء إلى تمكين السُّنَّة سيعود المتمردون بنسخة (داعش ٢) و(داعش ٣). وكما أشار الكاتب ديفيد إغناتيوس في دراسة موسعة بعنوان: (امتداد داعش في الشرق الأوسط وسبل مواجهته): «إن لم يتم التوصل إلى توازن سياسي جديد يسمح للسُّنَّة بحكم مناطقهم سيكون علينا أن نتوقع حدوث ما حذَّر منه جون مكلاغلن

نائب المدير السابق لجهاز المخابرات المركزية، حين قال لصحيفة نيويورك تايمز: إنْ قمنا بأخذ كل الأمور في الحسبان فإن تنظيم داعش قد يكون هو الرابح؛ إذ إن الشر ليس بالضرورة أن يكون الطرف الخاسر دائماً»[٧٠].

٧٠- ديفيد إغناتيوس، دراسة مترجمة: امتداد داعش في الشرق الأوسط وسبل مواجهتها، مجلة ذا أتلانتك، أكتوبر ٢٠١٥م، على الرابط:

http://cutt.us/eCUtd.

نبذة عن الكاتب

باحث سعودي متخصّص في شؤون الجماعات المتطرّفة، تخرّج في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٩٩٧م، وأسهم في إعداد أوراق بحثية في عددٍ من اللقاءات وورش العمل، وله سلسلة من المقالات الصحفية المتخصّصة في شؤون الجماعات الجهادية في صحيفة الحياة الدولية، كما شارك في عددٍ من اللقاءات التلفزيونية على قنوات: العربية، وفرانس ٢٤، والحرة، وغيرها.

نبذة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس سنة ١٤٠٣هـ، ومقرّه الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، ويرأس مجلس إدارته صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز. ويقوم المركز بعدة أنشطة، منها: عقد المحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، وحلقات النقاش. كما يحتضن مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل، والباحثين الزائرين. ولأن أساس العمل في المركز هو البحث العلمي؛ فقد تم إنشاء إدارة البحوث سنة ١٤٣٤هـ للقيام بتحليلات متعمقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية والإقليمية، ودراسات اللغة العربية والحداثة. ويقوم المركز بالتعاون مع مراكز الأبحاث الأخرى في مختلف دول العالم في مجال تخصصه. ويهدف المركز إلى أن يكون مصدر إشعاع للإنسانية تحقيقاً لتصوُّر الملك فيصل ابن عبدالعزيز رحمه الله، عبر القيام بالبحوث والدراسات، وحفز الأنشطة الثقافية والعلمية إلى ما يخدم البشرية، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، والعمل بوابةً وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

P.O.Box 51049 Riyadh 11543 **Kingdom of Saudi Arabia**
Tel: (+966 11) 4652255 Ext: 8692 Fax: (+966 11) 4577611
E-mail: research@kfcris.com